



لم تبد إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب أي استجابات أو ردود فعل واضحة على إجراءات روسيا في سوريا، والتي تصل أحياناً إلى حد الطعن في الخاصرة، وذلك في ما يبدو أنه رغبة من روسيا في اختبار سياسات إدارة ترامب ومعرفة ماهيتها وحدودها.

منذ سنة 2008، تاريخ غزوه جورجيا، يختبر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين سياسة الإدارات الأمريكية تجاه روسيا عبر مواقفها الصادرة حيال تحركاته التي تنطوي غالباً إما على رفض وإدانة تلك السياسات، كما حصل في أوكرانيا، أو القبول بها كما حصل في سوريا، وكان على مقتضى هذه المواقف يرسم حدود تحركاته ويكيفها، تضييقاً كي لا تلامس الخطوط الحمر الموضوعة ضمناً في حالة الرفض، وتوسعاً للاستفادة إلى أعلى درجة من الهاشم المسموح.

غير أنه مع إدارة ترامب يواجه نمطاً مختلفاً من التعاطي، فعلى رغم الحماسة والاندفاع اللذين يسمان شخصية ترامب إلا أنه في الموضوع السوري لم يكشف عن طبيعة السياسات التي سيتجه إلى إقرارها وإنفاذها في ملف يكاد يستهلك الجزء الأكبر من فعاليات السياسات الدولية في العقد الأخير.

صحيح أن ترامب أكد في عدد من المرات أنه يرغب في التعاون مع روسيا في محاربة الإرهاب، لكنه لم يوضح الكيفية ولا الآليات التي يراها بهذا الخصوص، وبالعكس من ذلك اتخذ قرارات صادمة للروس، مثل إعلانه الرغبة في إقامة مناطق آمنة، ولعل الأخطر من ذلك إعلانه الصريح نيته تقويض النفوذ الإيراني في المنطقة، وكل ما سبق مؤشرات وذر سوء يفهمها الروس جيداً أكثر من سواهم.

في موضوع المناطق الآمنة يقلص ترامب النفوذ الروسي في سوريا على مناطق صغيرة، ربما على طول الشريط المسمى «سوريا المفيدة» ويلغي تاليًا المظلة التي حاولت روسيا موضعتها على جزء من الشرق الأوسط، بما فيه أجزاء واسعة من تركيا، الجناح الجنوبي من حلف الناتو.

ويستكمل ترامب إجراءات تقليل النفوذ الروسي في مشروع محاربته للتمدد الإيراني، ذلك أن إيران وأذرعها تشكل الأداة العسكرية لروسيا في سوريا والتي من دونها لم يكن ممكناً تحقيق ما حققه، ومن دونها أيضاً ستكون روسيا أمام خيارات قاسية، أسهلها العودة إلى الاحتماء وراء جدران حميميم وطرطوس.

حتى في موضوع بشار الأسد، لم يقل ترامب سوى إنه لا مشكلة في بقائه، وهذه أيضاً يفهمها الروس جيداً، ذلك أن بقاء الأسد ولكن معزولاً يعني أن أميركا تطلب من روسيا تدبير شؤون الجزء الذي يسيطر عليه الأسد من سوريا، بما فيه من إعادة الإعمار التي تتكلف بحدود ترليون دولار، عدا عن تدبير شؤون الحياة المعيشية والإدارية في منطقة لا موارد فيها، لا قمح ولا نفط وغاز، ولا يمكن الترويج فيها حتى للسياحة في بلاد صارت الخراب تشكل معظم المشهد فيها.

وعلى عكس ما اشتهر وتمني بوتين من أن إدارة ترامب ستتعامل معه بوصفه قوة ندية وذات مكانة دولية، لا يبدو أن سياسات ترامب تسير إلى هذا الأفق، وإن كانت احترمت إجراءات روسيا وترتيباتها وقامت بشرعيتها، في حين أن الحاصل هو أن إدارة ترامب تصنع خريطة تحركاتها وكأن روسيا لم تصنع شيئاً منذ أيلول (سبتمبر) 2015، بل وكأن كل الجهد الذي قامت به في حلب من أجل تغيير موازين القوى وفرض سياسات أمر واقع على أميركا لم تكن سوى عملية تصويمية قامت بها موسكو وفي ظلها أنها تحصلت على ما تريده، في حين أن إدارة ترامب تبلغها اليوم، وإن بطريقة غير مباشرة أن ذلك لم يكن سوى مبارأة ودية بهدف التسلية ولا تحمل أي طابع استراتيجي كما أن نتائجها لا تؤخذ في الاعتبار ولا تؤثر في تراتبية اللاعبين.

هل يعني ذلك أن ترامب لا يعترف بأي إنجاز روسي في سوريا ولا بأي مصالح لها في هذا البلد؟ بالطبع ليس هذا ما يريده ترامب تماماً، بقدر ما يريد القول إن سوريا ليست حكراً على روسيا، فهناك أجزاء منها تشكل تماساً مباشراً مع مناطق النفوذ الأميركي، في العراق والأردن وتركيا وإسرائيل، وهذه المناطق ليست مجرد شرائط حدودية بل لها عمق جغرافي يمتد داخل سوريا، وبذلك، فإن ترامب يعترف لبوتين بحدوده الغربية في سوريا، لكنه في الوقت ذاته يضع نفسه في موقع المقرر في بقية الحدود.

ولا شك في أن هذا الأمر ينطوي على رسالة مهمة من ترامب لبوتين مفادها، أننا راقبنا استعراض قوتكم وتفحصنا أدواته ومكوناته، هو جيد إلى حد ما، لكنه لم يتجاوز مقدرات قوة إقليمية يمكن التعاون معها شريطة أن يصب ذلك التعاون في مصلحة استراتيجيةتنا الكبرى.

المصدر: الحياة

المصادر: